حبيب صادق

أثر القضية الفلسطينية على الشعر الحديث في لبنان

ما احسبنا بحاجة ، بعد ، الى تلمس الحجج المختلفة نسوقها ، على حياء لنضعها بين يدي « الشعر » معتذرين اليه على زجه فيما لا يعنيه والنزول به في غير مكانه اللائق ، فللشعر كما يدعي اهل الرجعة ، رسالة اخرى ، رسالة لا تسف ،بحال ، الى درك الانشغال بهموم الناس ومشاكل الحياة بل تنأى بجانبها عن هذه التوافه من الامور وتظل مرصودة لوجه الفن الخالص مختارة ، من اجل هذه الغاية المقدسة ، التهويم في الاجواء العلى والسير على قمم السحاب .

نقول ما احسبنا بحاجة ، بعد ، الى تلمس الحجج لنعتذر بها الى « الشعر » ونحن في بداية الرحلة معه في واحد من مجاري الحياة العربية المشحونة بالاحداث الجسام والمعضلات المعلاقة على وجه من الخطورة لم تعرفه في سابق تاريخها المعاصر .

وذلك لانه قد مضى ،الى غير رجعة، زمن الفصل التعسفي بين هموم الشاعر ـ او الفنان الابداعية وبين ما يخترم مجتمعه من هموم مادية وروحية في مرحلة زمنية معينة .

وقد جاء زمن الوصل العضوي ، والمتبادل الاثر ، بين ذات الفنان المنتجة وبين الواقع الاجتماعي المحيط به بمختلف ما يزدحم به هذا الواقع من تفجرات الحركة وتجليات الصراع المتعددة الصيغ والاشكال .

ان القول بأن الشعر ـ والفن عموما ـ ليس غير ظاهرة اجتماعية كبير شانها ان تعكس ، فنيا ، واقعا موضوعيا محددا في رقعة من الزمن محددة هي ايضا ،

ان هذا القول دخل ، منذ زمن ليس بالقصير ، في معجم الحقائق العلمية وتكرس في صلابة القانون .

انما علينا ، في هذا الصدد ، ان نبادر فورا الى توضيح علاقة الانعكاس هذه من الواقع الموضوع الى ذات الفنان المنتجة ومنها ، بالتالي ، الى العمل الفني المنتج فنقول بأن هذه العلاقة ليست علاقة انعكاس آلي عقيم بين اطراف العملية جميعا بل هي ، وبالتأكيد ، تفاعل جدلي مخصب وتبادل في التأثر والتأثير واسع العطاء وشديد الخطورة .

من هنا لا نرانا ملزمين ، بعد ، بضرورة الادلاء بالشهادة بين يدي الشعر او تقديم الدليل القاطع له على براءتنا من دمه اذا ما انطلقنا ، من بداية الرحلة والى نهايتها ، من موقع القول بانضوائية الشعر ـ والفنون جميعا ، او ، بعبارة ادق ، اذا ما انطلقنا بتعريف الشعر بأنه موقف اي التزام بوصف كونه شكلا من اعمق اشكال الوعي الاجتماعي اضافة الى كونه يتحول ، بسبب العلاقة الجدلية القائمة بينه وبين الواقع ، الموضوعي الى قوة مادية في هذا الواقع تأخذ شكل ، الكشف والنبوءة حينا وشكل الفعل المحرض والمعبيء فالمقاتل حينا آخر وفي الحالين معا يتحول الشعر الى سلاح ماض في عملية التغيير الكبرى اي تغييرالشروط التي من شأنها ان تعيق حركة الواقع فيأسن وتكبل بنية المجتمع وتحول ، وبالتالي ، بينها وبين حركة التاريخ الصاعدة ، فيسترخي ويتلبد ثم يبدأ في التحلل .

فالشعر ، والفن عموما ، لم يعد ضربا من ضروب التواطؤ المجند لخدمة النهب الاستعماري او القهر الطبقي مهما تخفى وراء الاصباغ البديعية والمصوغات اللفظية الزائفة أو القول بسمو الفن وانشغاله بنفسه عما عداه .

انما تحول الشعر والأدب والفن الى سلاح ، كما سبقت الاشارة، ودخل في ساحة القتال لا من اجل تفسير الواقع او تأويله فحسب بل من اجل تغييره واشعاله بالثورة لمصلحة الحياة وجماهير الكادحين « حيث ان المسألة الاساسية في هذا العصر وبالدرجة الاولى ، هي تغييره » .

في ضوء ذلك نرى ان الدم الحقيقي والحار في الشعر ، وفي كل فن ، هو المستمد أصلا من نسغ قضايا الواقع الاجتماعي وان السياحة الكلامية على هامش المجتمع والتاريخ من شأنها ان تمصل دم الشعر وتمسخ وجهه وتطرحه سلعة رخيصة ، مهما ارتفع ثمنها ،في سوق النخاسة الطبقية او الاستعمارية .

تأسيسا على هذه الحقائق الموضوعية يتحدد الدور الثوري للشعر والادبعلى وجه الاطلاق . وهنا لا يخامرنا ادنى ريب في ان هذا الدور اشد ما يكون خطرا وابعد ما يكون اثرا ، على حاضر الناس ومستقبلهم في مراحل مميزة بالحدة والحسم والخطورة من التاريخ البشري تماما كمثل المرحلة التاريخية الراهنة التي تجتازها امتنا العربية وهي في اعلى درجات المواجهة مع العدو المثلث الوجوه والمتعدد الاذرع والمخالب :

اولا ـ قوى الامبريالية العالمية وفي طليعتها الامبريالية الامريكية .

ثانيا ـ الصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل المخفر الامامي للاحتكارات الامريكية ولا سيما احتكارات النفط .

ثالثا ـ الرجعية العربية الغائصة في مستنقع العمالةوالارتهان.

ان هذه المواجهة المشتعلة ، منذ عشرات السنين ، بين الشعوب العربية من جهة وبين عدوها المثلث الوجوه والمتعدد الاذرع

والمخالب من جهة ثانية قد ازدادت اشتعالا في بحر السنوات العشر الاخيرة على وجه الخصوص . الامر الذي دفع حركة التحرر الوطني العربية الى ان تنقل مواقعها الى الخنادق الامامية من الجبهة العريضة التي يشكل منها الخط الفلسطيني نقاط الصدام الاولى والرئيسية والى آن تكون هذه الحركة في حالة استنفار دائم لا سيما بين صفوف المقاومة الفلسطينية المسلحة التي تشكل، بدورها ، طليعة متقدمة في جيش حركة التحرر العربية .

من هنا اخذت القضية الفلسطينية حجمها العظيم من التاثير على مختلف القضايا من اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية وعسكرية .. الخ ـ وذلك بصفة كونها قضية محورية على ساحة المرحلة الراهنة من التاريخ العربي ، ولا بد ، والحالة هذه ، من ان تستاثر هذه القضية ، نعني القضيةالفلسطينية ، بحجم منالتاثير عظيم ايضا على حركة الادب العربي المعاصر عامة وعلى حركة الشعر العربي الحديث خاصة . وان تشكل ، بالتالي ، خطا محوريا في ساحة الكلمة العربية المناضلة سواء دخلت في النثر او الشعر والشعر تمييزا .

٢ ـ بعد هذا التمهيد المكثف كيف نرى الى حركة الشعر العربي الحديث في لبنان من حيث تاثرها بالقضية الفلسطينية ؟

لا مراء عندنا في ان حركة الشعر الحديثفي لبنان ليست غير جزء لا يتجزأ من حركة الشعر العربي الحديث عموما وان اتسمت ببعض الخصوصية التي لا تملك ان تمنحها هوية مستقلة في اي حال .. تماما كما هو الامر من حركة الادب المعاصر في لبنان اذ لا تعدو ، هذه الحركة آن تكون ،هي الاخرى ، جزءا لا يتجزأ من حركة الادب العربي المعاصر وان امتازت، بدورها بخصوصية محدودة ليس في مقدورها ان تعلن استقلاليتها عن مجمل نتاجات هذهالحركة.

وهذا امر طبيعي جدا ذلك لان حركة التحرر الوطنية في لبنان، التي تنعكس عن واقعها ، جدليا ، حركة الشعر والادب والفنباطلاق، ليست ، هي بالذات ، سوى جزء من الحركة الوطنية التحريرية في الوطن العربي بأسره .

ونحن نعرض لهذا الواقع الموضوعي في لبنان لا نكترث كثيرا او قليلا بكلام متشنج قد يصدر عن تاجر في السياسة مأجور ـ من هنا ، او عن جاهل اعماه التعصب منهناك .

حسبنا ، في هذا الصدد ، ان نلتزمبالحقيقة التاريخيةالتزام جماهير الشعب اللبناني بها . يبقى ان نشير ،بعد ، الى ضرورة الوقوف ، على القضية الاساس ، القضية الفلسطينية ،بما تقتضيهمنهج البحث العلمي مع رغبة الحرص على الايجاز ، وذلك قبل ان نخوض في الحديث عن الاثر ، المباشر وغير المباشر ، الذي احدثته هذه القضية ، وما تزال تحدثه، في نتاج حركة الشعر الحدث فيلبنان.

٣ ـ في القضية :

تجنبا للدخول في التفاصيل والتفرعات نقول بأن القضية الفلسطينية ليست غير مجمل مطالب ومطامح وافكار وممارسات الحركة الوطنية الفلسطينية عبر تاريخها الطويل الذاهب في العمق الى اوائل القرن الجاري .

لقد واجهت هذه الحركة ، منذ السنوات الاولى على ميلادها عدوين مباشرين هما الاستعمار البريطاني والمؤسسة الصهيونية العالمية ، الامر الذي جعلها عرضة لسلسلة رهيبة من المؤامرات شكل وعد بلفور العمود الفقري لها جميعا .

ومع نمو الحركة تضاعفت هجمات الاستعمار والصهيونية عليها مما سهل السبل امام هذه الهجمات وجعلها اقدر على احراز مكاسب وانزال ضربات موجعة بالشعب الفلسطيني المواقف المتواطئة التي اتخذها تحالف الاقطاع والبورجوازية الرجعية سواء داخلالارض الفلسطينية ام خارجها .

رغم شراسة العدو الخارجي والتواطوء الداخلي ، بقيت نار الحركة الوطنية الفلسطينية مشتعلة على تفاوت في حجمها والاثر بين هذه الفترة الزمنية وتلك .

ومما لا شك فيه ان بقاءهذهالنار مشتعلة يعود لاسباب يأتي في طليعتها التفجرات الشعبية والانتفاضات الوطنية داخلفلسطين ثم الدعم المتعدد الوجوه على تفاوت في الاهمية الذي جاءها من الخارج من قبل فصائل الحركة الوطنية العربية . ولم يكن في ذلك ادنى غرابة بسبب كون القضية الفلسطينية قد تحولت الى قضية قومية تعني جميع الشعوب العربية وتهز مشاعرها من الاعماق.

ومع تصاعد النضال العربي لصد الغزو الصهيوني المسلح بانياب الامبريالية ومخالبها تحولت القضية الفلسطينية الى محور امامي على ساحة حركة التحرر الوطني العربية . ذلك لان الخطر الداهم لم يعد يهدد جزءا من ارضها للاغتصاب فحسب بل يهدد، في نفس الوقت ، نضال ،هذه الحركة ، بسبيل استقلالها وتحرير ثرواتها وتحقيق مطامحها القومية في الوحدة وبناء مجتمعها المتقدم .

وعبر الانتصارات والهزائم ورغم دخول الامبريالية الامريكيةبثقلها الحربي في المعركة ، شهدت حركة التحرر الوطني العربية ، منبداية الخمسينات ، نهوضا ملحوظا تجسد في اكثر من ساحة عربية ، بتحولات سياسية واجتماعية ذات شان كبير .

في زخم هذا النهوض العربي الذي اتخذ مساره الصاعد معبداية الخمسينات ، انبعث في قيامة جديدة في ، حركة التحرر الوطني الفلسطينية .وهنا يمكن القول بأن ولادة جديدة ، للقضيةالفلسطينية انشقت عنها اواسط الستينات حين برزت بندقية المقاتل الفلسطيني تتحدى ، بكبرياء وشجاعة ، مختلف اسلحة القهر الامبريالي الامريكي خاصة والاغتصاب الصهيوني وموقف الرجعية العربية المتواطيء رغم ادعاء قادتها الحرص على القضية الفلسطينية وطرحها في سوق التعامل السياسي ، تملقا لمشاعر الجماهير الواسعة وابتزازا لآمالها .

اذن فثمة مرحلة جديدة ساطعة من تاريخ القضية الفلسطينية قد انطلقت مع انطلاق الثورة الفلسطينية في اولالعام ١٩٦٥ .

انما ينبغيالا يغيب عن الاذهان ،في هذا الصدد ، ان الانطلاق لم يبدأ من فراغ بل بدأ من تاريخ طويل حافل بالتضحيات الجسام والنضال العنيد والمواجهة الجريئة التي نهض باعبائها جميعا ، على كفاءة وطنيه عالية ، الشعب الفلسطيني رغم الاختلال الكبير في موازين القوى لصالح العدو الاسرائيلي ـ الامبريالي .

وقولنا ان مرحلة جديدة ساطعة قد بدأت لا يعني ان تحولا حاسما قد اصاب هذه الموازين ورجحها لمصلحة حركة التحرر الوطني الفلسطيني او ان هذه المرحلة لم تشهد سوى الانتصارات لا ، لم نقصد الى ذلك بل قصدنا فقط الى ان تغيرا نوعيا متقدما قد دخل الى احشاء هذه الحركةثم منحها براءة الثورة من اجل التحرر الوطني وبناء الدولة المستقلة .

نقول هذا من غير ان ننسى لحظة واحدة بان افجع هزيمة منيت بها الانظمة العربية وان اشرس مذبحة فتكت بالمقاومة الفلسطينيةقد وقعتا خلال هذه المرحلة بالذات تعني بذلك هزيمة حزيرانومذبحة ايلول .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على خصوبة هذه المرحلة بالاحداث الكبرى والتحديات المصيرية .

المهم ان حركة التحرر الوطني الفلسطينية قد خرجت من هذه الامتحانات جميعا وهي اصلب عودا واصح رؤيا واشد عزيمة على

ـ التتمة على الصفحة ٩٧ ـ

اثر القضية الفلسطينية على الشعر الحديث

ـ تابع المنشور على الصفحة ١١ ـ

المضي في طريق الثورة تحقيقا لاحلام الجماهير الفلسطينية في العودة الى الارض الام والحبيبة واعادة امتلاك الوطن والتاريخ .

وانعكاسا لهذا الواقع الموضوعي جاءت حركة الادب العربي المعاصر ، بما فيها حركة الشعر الحديث ، لترسم ، بلغة الفن، قسمات القضية الفلسطينية وملامح العافية فيها والضمور ،هاتفة حينا ، وهامسة حينا اخر ، واضحة الوجه هنا ضائعة المعالم هناك، متراوحة ابدا بين حقول الالوان جميعا لرسم واقع القضية الواحد المرئي من منظورات مختلفة اختلاف المواقع الاجتماعية والفكرية لفرسان هذه الحركة وتلك من شعراء العربية وادبائها.

شهادة على سلامة هذا المنطق الجدلي ظهر الشعر العربي الحديث خصوصا والادب العربي المعاصر عموما معبأ بدم القضية الفلسطينية على نحو لم يعرفه من قبل ، في فترة نهوض حركة التحرر الوطني الفلسطينية آي في المرحلة الجديدة الساطعة من تاريخ القضية الفلسطينية ـ مرحلة ما بعد العام ١٩٦٥ الى يوم الناس هذا .

ولعلنا لا نضيف شيئا اذا ما قلنا بان نتاج حركة الشعر العربي الحديث المعبأ بدم القضية الفلسطينية قد دخل ، وهو يعكس جدليا واقع هذه القضية ، ارض معركتها الساخنة سلاحا من معدن اخر، سلاح تحريضي ثوري واثارة وعي واغناء روح وتعبئة باليقظة والشجاعة فدخل الشاعر العربي ، بسبب ذلك « جزءا حيا في نسيج القوى التي تفجر حركة التحرر ..» والمثل النموذج عن هذا الشاعر هو، بلا جدال ، شاعر المقاومة الفلسطيني سواء المقيم في داخل الارض المحتلة ام المنفي عنها .

ولم تكن حركة الشعر الحديث في لبنان لتختلف ، في الخطوط العريضة ،عن مجمل حركة الشعر العربي الحديث من حيث تأثرها بالقضية الفلسطينية .

٤ ـ ونحن على عتبة الولوج الى ديوان الشعر العربي في لبنان لنرى مدى تأثره بالقضية الفلسطينية فلا يسعنا الا ان نسجل بعض الشارات لعلها تساعد في الاضاءة وتوضيح معالم الطريق .

اولا : ان لبنان بجنوبه معرض تنفس الصيغة من الغزو الصهيوني التي سقطت ضحيتها فلسطين : الاجتياح فاقتلاع المواطنين فاغتصاب الارض وما عليها فالاستيطان .

ان العدو الاسرائيلي لا يخفي تآمره على جنوبي لبنان طمعا بارضه ومائه وموقعه الستراتيجي .

فقد صرح موشي دايان عشية اليوم الاخير في حرب الايام الستة « ان حدود اسرائيل اصبحت طبيعية على جميع الجهات باستثناء لبنان ..

وفي رسالته المعروضة الى الجنرال ديغول كتب بن غوريون :«ان حدود اسرائيل في المستقبل جعل نهر الليطاني حدود اسرائيل الشمالية » ..

ـ هذا النهر ينبع ويصب في لبنان مخترقا جنوبه ـ وفي تصريح لمراسل جريدة « الموند » الفرنسية قال اشكول : ـ وكان رئيسا للوزراء ـ « لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ان نرى مياه نهر الليطاني تذهب هدرا لقد اصبحت القنوات جاهزة في اسرائيل » .

نكتفي بهذا القدر من اقوال كبار مسؤولي دولة الاغتصاب الصهيوني لننتقل ، من فورنا ، الى ارض الواقع فماذا نشاهد على الطبيعة كما يعبر اهل الفن ؟

ان اول ما يصدم النظر بعنف، من واقع الجنوب اللبناني الراهن ، تلك اللوحة الحقيقية الشاسعة من الحرائق والدمار واللحم البشري المتناثر والدم المتخثر .

ثم طوفان الغضب الملجوم ..

حدود هذه اللوحة ، في الزمن ، تصل الى عام ١٩٤٨ ولكن منسوب القتل والحرق والتدمير بدأ بالارتفاع وبوتائر عالية ، في اواخر الستينات وما زال مستمرا .

وقد بات من المعروف تماما ان وراء تصاعد الاعتداءات الاسرائيلية على جنوبي لبنان تكمن رغبة دولة الاغتصاب الصهيوني في السيطرة على الجنوب بعد تفريغه من اهله، من اصحابه التاريخيين تماما كما جرى الحال بفلسطين في بدايات فصول المهزلة ـ المأساة .

ثانيا : ان جنوبي لبنان هو في الاصل امتداد تاريخي وجغرافي لمنطقة الجليل الفلسطينية وان حدوده الحالية مع فلسطين لم ترسم قبل نهاية الحرب العالمية الاولى ، وانه ، على الرغم من ذلك، بقي الى عام ١٩٤٨ وثيق الصلة شديد التأثر بالحياة الفلسطينية على مختلف اصعدتها لا سيما على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

ثالثا : ان حركة الادب في لبنان عامة وفي الجنوب اللبناني خاصة وحركة الشعر بالتحديد ، تأثرتا ، للاسباب الانفة الذكر ، بالغ التأثر بالقضية الفلسطينية الامر الذي منحهما تلك الخصوصية المحدودة والمتميزة عن مجمل نتاج حركة الادب العربي المعاصر بما فيها حركة الشعر الحديث .

رابعا : ان حركة الشعر الحديث في لبنان قد تأثرت بالقضية الفلسطينية حين بدأت هذه القضية مرحلة نهوضها الراهنة . تماما كما كان الامر مع مجمل حركة الشعر الحديث العربية مع التأكيد على الخصوصية النسبية للنتاج الشعري الحديث في لبنان ولا سيما في الجنوب .

تأسيسا على هذه الاشارات الاربع ، وفي ضوء ما تقدم من عرض، ندخل ، مباشرة ، في عملية الكشف عن بصمات القضية الفلسطينية واثارها على نتاج الشعر الحديث في لبنان معفين انفسنا من الوقوف على نتاج ما قبل المرحلة الجديدة الساطعة من تاريخ القضية الا للضرورة التي يقتضيها سياق البحث .

٥ ـ من الحقائق الثابتة تاريخيا ان حركة الشعر الحديث في لبنان قد سبقت ، في الولادة والنمو ، مرحلة النهوض الثوري الراهنة تحركة التحرر الوطني الفلسطينية ولكنها لم تسبق ، وما كان لها ان تسبق ، نهوض حركة التحرر الوطني في لبنان وفي بقية الاقطار العربية اللهم الا في حالات الارهاص والكشف الحدسي.

من اهل النقد الادبي من يأخذ ، في هذا الصدد ، على حركة الادب العربي ، عموما ، تخلفها عن المعركة الدائرة على الساحة الفلسطينية ، متهما الادب العربي بالتقصير « في تعريف المسالة الفلسطينية لانه، لسبب جوهري ، لم يتميز بالثورية ـ المطلوبة ـ والتامة .. » (١)

وباستثناء ادب المقاومة في الارض المحتلة الذي تميز بانه ادب يساري .. «فان نتاج الادباء العرب لم يحتضن المسالة الفلسطينية احتضانا كاملا ـ وثوريا » (٢) .هناك من يرفض بحزم ، هذا الاتهام ولا يرى فيه سوى ظاهرة عن الموقف المثالي من الادب الذي لا يعدو ان يكون شريحة في البناء الفوقي لاي مجتمع من المجتمعات .

---

(١) الاداب العدد ٩ سنة ١٩٦٧ ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر .

طبعا أن هذا القول يحمل ، بالضرورة ، على النقاش وتنازع الرأي حول مداه من الصواب .

فهناك من ينفي هذه التهمة عن الادب العربي انطلاقا من رؤية علمية شاملة تضع الادب، وجميع شؤون الفكر ، في حيزها المحدد من البناء الاجتماعي ،في ضوء هذه الرؤيـــة يذهب الى اسقاط الشرعية عن مطالبة الادب العربي في ان يكون توريا تماما في حين أن ظروف الواقع الاجتماعي لم تنضج بعد الى هذا المستوى او ، ذاك ، من الثورية .

وهناك من ينبري مدافعا عن الادب والشعر العربيين من حيث تأثرهما بالقضية الفلسطينية ذاهبا في الحماس الى حد القول بانه لا يكاد يخلو نتاج ادبي في الشعر او الرواية او القصة . او ... من اثر للقضيـة فيه لا سيما بعد اجتياح فلسطين واقامة الدولة الاسرائيلية العنصرية على ارضها ، مع التاكيد بان هذا الاثر ليس من الضرورة ان يجيء بصورة مباشرة فيظهر للعيان انما قد يجيء بصورة غير مباشرة الامر الذي يجعل من مهمة تلمسه في هذا النتاج او ذاك مهمة شاقة وعسيرة .

ثم هناك ، أخيرا ، من يعارض هذه الاقوال جميعا منفردا بصوت الناعي ليس الحاضر العربي او الادب العربي فحسب بل الحضارة العربيـة على وجه التعميم والاطلاق وهو اذ يجار بهذا النعي فانما يحاول بوعي منه او بغير وعي ، أن يدفع عن حضارة معينة هي حضارة البورجوازيـة العربيـة المتحالفـة مع الاقطاع والمشدودة الى الاوساط الامبريالية العالمية ، الامريكية خاصة ، بعلاقات العمالة والتبعية،

انه يدفع عن هذه الحضارة بالذات تهمة الاسهام الفعلي في صنع الهزائم المشينة التي لحقت بالعرب على الساحة الفلسطينية كما على غيرها من ساحات النضال العربي .

ومهما يكن من امر الاختلاف بين هذه الاراء جميعا فثمة حقيقة لا يمكن نكرانها او التهوين من شانها وهي ان الادب العربي بصفة كونه نتاجا اجتماعيا يؤدي مهمتين في آن معا ، او يقوم بدورين ، يشكلان قيمته ويرشحانه ، بالتالي ، الى البقاء وهي :

ـ دور التأثر بالواقع الاجتماعي الى الاحتضان ، فنيا ،لمختلف هموم هذا الواقع ومعايشتها بصدق والتعبير عنها بامانة .

ـ ودور المؤثر في هذا الواقع الاجتماعي لكونه يقدم سلاحا معرفيا لا غنى للجماهير عنه كي تنتصر « ان تسعة اعشار الجماهير الكادحة ادركوا أن المعرفة سلاح لهم في النضال من اجل التحرر وان هزائمهم نجد تفسيرها في فقدانهم للمعرفة » (٣) ولكونه ايضا ، يخصب توق الانسان للتغيير ويغنيه بالرؤيا الثورية ويحصنه بالتفاؤل التاريخي من اوباء اليأس والقنوط التي تثيرها ، عادة ، الهزائم والنكسات في المجتمعات التي ما تزال قيد التطور كالمجتمع العربي.

وتقريرا للواقع نقول : بأن الادب العربي قد مارس، الى هذا الحد او ذاك ،دوري التأثر والتأثير المتلازمين على صعيد القضيـة الفلسطينيـة والتزم بها ، منذ نشأتها الاولى ، على هذه النسبة من الالتزام او تلك وعلى مستويات مختلفة من الفهم لها ،اي للقضية، في تعدد جوانبها وتشابك تعقيداتها .

ومصداقا على صحـة هذا القول نشير،علـى سبيل المثال لا الحصر ، الى بعض الاصوات الشعرية في لبنان التي اسهمت في حمل الهم الفلسطيني في مرحلتي ما قبل عام ١٩٤٨ وما بعده حتى اواسط الستينات حيث ابتدات المرحلـة الثالثة الساطعـة بثوريتها علـى ساحة النضال اليومي الباسل على ساحة الكلمة الشعرية المقاتلـة .

٦ ـ ان جل شعراء لبنان التقليديين ، ان لم نقل كلهم ، قد عقدوا اكثر من قصيدة واحدة على جانب او اخر من جوانب القضية الفلسطينية في مراحلها الثلاث جميعا . اكثر من ذلك فان بعضهم قد اصدر الدواوين المكرسة بكاملها للقضية ،

كديوان « الفلسطينيات » لسليمان ظاهر او ما يشبه الدواوين كمثل المطولة الشعرية التي ارسلها في الناس عام ١٩٤٧ الشاعر بولس سلامة تحت عنوان « فلسطين واخواتها » .. والبالغ عدد ابياتها ٣١٩ بيتا ومطلعها :

يا منزلا وحيه في طورسينا
رحماك امطر سلاما في فلسطينا

ويأتي الشاعر الفروي في طليعة شعراء لبنان ، والعرب عموما، الذين وهبوا حناجرهم لقضايا التحرر العربية ، وفي المقدمة القضية الفلسطينية ، فاسمعه يخاطب « بلفور » بلغة الوعيدة المزمجرة :

الحق منك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر

ثم يناقشه بحدة المقتنع بحجته والمسفه منطق الخصم :

لو كنت من اهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسنا يا بلفر

وهناك شاعر مهجري كبير هو ـ أيليا ابو ماضي قد هز وجدانه، ايضا ، هذا الجانب الاساسي من القضيـة الفلسطينية فانبـــرى يخاطب اهل صهيـون :

الا ليت بلفـور اعطاكم بلادا لـه لا بلادا لنـا
فلندن ارحب من قدسنا وانتم احب الى لندنا

ثم يروح يؤكد الصلة التاريخية التي تشد فلسطين الى اصحابها العرب معبرا عن وطيد امله في انها ستبقى لهم الى ابد الآبدين :

وكانت لاجدادنـا قبلنا وتبقى لاحفادنا بعدنا

ومن بين ابرز وجوه الشعر العربي يطل وجه الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري ـ الاخطل الصغير وقد انشحن بجمر الغضب وعصفت به روح المروءات لدن سماعه صوت الثورة الهادر بفلسطين عام ١٩٣٦ فانشد قصيدته العصمـاء التي سارت في الناس مسار المثل:

سائل العليـاء عنـا والزمانـا هل خفرنـا ذمة منذ عرفانـا
المروءات التي عاشـت بنـا لم تزل تجري سعيرا في دمانا

ثم ينتقل الشاعر بنا الى ساحة المجد ارض فلسطين فيقول:

يـا جهـادا صفـق المجـد لـه لبس الغـار عليـه الارجـوانا
شرف باهت فلسطيـن بـه وبناء للمعالي لا يـدانـي
ان جرحـا سـال مـن جبهتهـا لثمتـه بخشـوع شفتانـا
وانينـا باحت النجـوى بـه عربيا ، رشفته مقلتانا ....

وينعطف الشاعر نحو وطنه لبنان الاسير في قيد الانتـداب الفرنسي عهـد ذاك فينسى ما يعانـي من قهر الاسر او يكاد بسبب انشغاله بما تكابده فلسطين من اسى وهي الاخت الاثيرة وثمـة عهد قد عاش على خبزه منذ المهد .

يا فلسطيـن التـي كدنـا لمـا
كابدته من اسـى ننسى اسانا
نحن ، يا أخت ،على العهد الذي
قد رضعناه من المهد كلانـا

وبين الذلة والموت فلا خيار لنـا سوى الموت تنزيها لكرامة الحياة وصيانـة لعزة النفس :

شرف للمـوت ان نطعمـه انفسا جبارة تأبى الهوانـا

تلك عينات يسيرة ، نحاول بعرضها ان نومىء فقط الى الحجم الكبير من الاهتمام الوجداني الـــذي كـان يوليه شعراء لبنـان

---

(٣) لينين ـ المؤلفات الكاملة الجزء ٢٨ ص ٨٤ .

الكلاسيكيون للقضية الفلسطينية على مساحة زمنية تتجاوز الخمسين سنة تقريبا .

وبدهي القول ان هذا الاهتمام الوجداني لم يكن حصيلة افتعال في العاطفة او تصنع في الشعور او مباهاة في المواقف الاستعراضية، انما كان رشحا صادقا لما تختزنه صدور الشعراء من غضب على الغزاة المعتدين ،ومن ثورة على الواقع العربي الاسن ، ومن اكبار لفرسان الحركة الوطنية بفلسطين اولئك الابطال الذين يبنون الجسور بين تطلعات الحاضر العربي وامجاد الماضي .

هذا ولا يسعنا الا ان نفرد لشعراء الجنوب من لبنان حيزا خاصا بهم لا يميزهم عن غيرهم من حيث الشكل او المحتوى ، فهم اتباعيون في الامرين معا ، ولكن من حيث تماسهم الحار بالقضية الفلسطينية باعتبار ان الجنوب اللبناني امتداد لساحتها على مختلف الجبهات كما سبقت الاشارة الى ذلك ومن هذه الجبهات او في طليعتها ، جبهة الادب ، فالشعر على وجه الخصوص .

وفي هذا الصدد ، نحب ان نؤكد ، دون ان نتهم بالمبالغة من قريب او بعيد ، بانه لم يكن بين الشعراء في جنوب لبنان ،وليس فيهم اليوم ، من اغفل ذكرا للقضية الفلسطينية في انتاجه الشعري قل هذا الانتاج ام كثر . بل يمكن القول هنا ، استنادا لواقع الامر، بأن هذه القضية بالذات شكلت ، وما برحت تشكل ، الهم الفني الاكبر للشاعر الجنوبي حتى لتكاد تتقرى خارطة فلسطين ، بأبعادها جميعا ، على مساحة الشعر في جنوبي لبنان .

ولو يسعفنا المجال ، هنا ، لطالت وقفتنا على اثار شعراء الجنوب الاتباعيين المشحونة بفلسطين غضبا فتحديا فنضالا ثم جراحا وتضحيات فشهداء .

حسبنا ، اذن ، ان نختار القليل من الكثير ونتقدم به على سبيل المثال ليس غير .

لقد سبقت الاشارة الى ان بعضا من شعراء لبنان لم يكتفوا ،في رسم معاناتهم فلسطينيا ، بقصيدة او اكثر يهزون بها منبرا هنا او يشعلون بها صفحة هناك بل تجاوزوا ذلك الى وضع الدواوين المنعقدة بكاملها على القضية واستشهدنا بالشيخ سليمان ظاهر على ذلك . يهمنا ان نضيف ، الان ، بأن الشيخ سليمان شاعر جنوبي ، دون ما نظمه في فلسطين من قصائد في ديوان اسماه « الفلسطينيات » .

في قصيدة من هذا الديوان نظمها عام ١٩٢٩ ونشرها ، عامذاك ، في جريدة المقتبس الدمشقية ، يقول الشاعر :

سائر بريطانيا ملذا جنت يدها
وما تحاول من تمليك صهيوني
كم في الجزيرة منها عارضا هطلا
ينهل بالخسف لا بالخفض والين
يشقي البلادانتداب واحد فعلا
م حيرت بين صهيوني وسكسوني

يلاحظ ، بصورة غاية في المباشرة الواضحة ،كيف ان الشاعر يدين الاستعمار البريطاني المنتدب على فلسطين ،عهد ذاك ، لمسؤوليته العدوانية عن تحقيق الاهداف الصهيونية في فلسطين ، فاضحا ، بعد ذلك ، خدعة هذا الاستعمار في جزيرة العرب جميعا بعد ان غزاها تحت راية التمدين والتطوير الزائفة في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

وفي قصيدة ثانية من الديوان اياه يخاطب الشاعر فلسطين الجريح بما يشحذ همتها ويوقد في صدرها جذوة الامل بالنصر مهما اشتدت وطأة القهر عليها :

مهلا فلسطين لا تأسي ، فللغير
مهما دجا ليلها ، صبح من الظفر

ثم يذهب الشاعر في عملية تعزيز الثقة وتوكيد الامل وتأجيج الحماس الوطني الى طرح الحلم القومي في الوحدة كسلاح من امضى الاسلحة لتحقيق هدف التحرر الوطني بفلسطين :

ترقبي دولة للعرب ظاهرة — على البرية من بدو ومن حضر
مكتوبة تلك في سفر الفتوح — . . . . . .

وفي وجه « محمد علي الحوماني » يطل علينا شاعر جنوبي اخر رصد الكثير من عطائه الشعري لفلسطين فغنى بطولات ثوارها وصرخ في وجوه اعدائها ثم حرض واستنخى :

جددي عهدك جددنا الشبابا
ورصدناك شعابا وهضابا
يا فلسطين تمني تجددي
ما تمنيت بنا حتى الرقابا

ثم نرى الشاعر يمد يد الاتهام نحو الاستعمار الامريكي الذي انتقلت الى احشائه الحركة الصهيونية بصفته الوريث الشرعي والمؤهل لقيادة دول الاستعمار الاخرى الاخذة في الضمور ومنها بريطانيا ، الحاضنة الاولى :

لم تلد مريم بلفور ولا — انبتت نيويورك سعدا والحبابا

رغم ذلك يعود الشاعر فيؤكد نسب الارض مثبتا شرعية امتلاكها في الحاضر لمن كانت في ملكيته منذ اقدم العصور :

نحن غرس الله في تربتها — وعلينا مجدها شب وشابا

ويأتي شاعر جنوبي اخر هو الشيخ حسن صادق فيحدد مسؤولية اميركا عن الجريمة الكبرى التي اقترفتها بحق الشعب الفلسطيني وما تزال تقترفها بنهر الامدادات الذي لا ينقطع عن دولة الاغتصاب الصهيوني ، ويتساءل بمرارة موجعة :

عمي العاهل الاميركي عن الحق فما بال شعبه يتعامى ..

وفي قصيدة اخرى نسمع الشاعر يخاطب دول الاستعمار بنفس المنطق الشعري الذي استخدمه غيره من الشعراء العرب :

هلا افضتم عليهم من بلادكم — بموطن خصب المرعى لرواد
انتم تجودون في اوطان غيركم — لكن بأوطانكم لستم بأجواد

والشاعر الصادق اذ يشير في هذه القصيدة الى مجزرة « دير ياسين » التي ارتكبتها عصابات الصهاينة في عام الاغتصاب الاول فلا ينسى ان يشير ايضا الى مذبحة مماثلة قد ارتكبتها هذه العصابات السوداء اياها وفي ذات العام ولكن في قرية لبنانية على الحدود الجنوبية وهي « حولا » حيث فتك الجزارون الصهاينة باكثر من سبعين ضحية بين شيخ وامرأة وفتى وطفل دون ذنب اتوه : ما « دير ها » يشبه «حولا » بنكبتها
وان هما اذكيا قلبي بايقاد

ثم يصرخ شاعرنا بغيظ وحزن بالغين :

تمني فلسطين في دهياء واحدة
لكن لبناننا يمنى بآحاد

ولو كان المجال يسعفنا لاستزدنا من الامثلة نرسلها عن الانتاج الشعري الاتباعي في الجنوب ، ذلك الانتاج المعبأ ، على كثير من الصدق ، بالهم الفلسطيني المتعدد الجوانب . ولكن ، رغم ضيق المجال ، لا نجد لانفسنا مبررا اذا ما اغفلنا الاشارة الى شاعرين جنوبيين التزما ، في وقت مبكر ، بالقضايا الوطنية والقومية وخاصة القضية الفلسطينية وعرفا ، في شعرهما ، بالصوت الجريء والنكتة الساخرة والالتقاط البارع لمشاهد الحياة السياسية والاجتماعية .

والشاعران هما عبدالحسين عبدالله وموسى الزين شرارة . هذا بالاضافة الى غيرهما من الشعراء الكثر الذين ازدحمت بهم ارض الجنوب والذين شاركوا بنسب مختلفة ، في التغني بامجاد فلسطين او في البكاء على جراحها النازفات .

ومهما اختلف الشعراء الاتباعيون في لبنان ، من حيث الجودة والبراعة في اشكال الشعر المكرس لفلسطين واساليبه ، فهم يتفقون، او يكادون ، في المواضيع المختارة من القضية التي لا تتعدى الا بقليل حدود التنديد بوعد بلفور وشتم المنتدب البريطاني والتنبيه الى خطر التآمر الصهيوني الاستعماري ثم الدعوة الى وحدة الصف العربي ومقاتلة الاعداء الصهاينة والمستعمرين مع افتخار بامجاد الماضي واكبار روح الشهادة والفداء في الحاضر .

والمبالغة المفرطة في تصوير قوة العرب بدافع من نزعات شوفينية والتهوين المجاني ، في الوقت نفسه ، من قوة الاعداء .

٧ ـ بعد هذا الاستعراض الذي اقتضته الضرورة المنهجية في البحث الى حدود غايتنا ، نصل الى ارض الشعر الحديث في لبنان . لكن من باب التحديد ، ليس اي شعر حديث انما ذلك القطاع منه العابق برائحة فلسطين والمصبغ بلون جراحها والمسكون بهاجسها ، دون ان نشترط الوضوح دائما في هذه العلاقة القائمة بين الشعر والقضية فقد تتخفى هذه العلاقة وراء الصور الشعرية او التداعيات او الشارات او الرموز فالاساطير ، اي وراء ادوات الشعر الحديث جميعا ، الى حد الامحاء او ما يشبه الامحاء ، الامر الذي يجعل من مهمة الدارس لهذا الشعر مهمة شاقة وصعبة المراس لا سيما اذا ما حاول هذا الدارس ـ ان يستقري بواطن العمل الشعري ليقع منها على بصمة من هنا او سمة من هناك تومئان الى موضوع محدد او قضية بعينها .

في ضوء ذلك بماذا ترانا نواجه في نتاج الشعر الحديث في لبنان اذا ما رحنا نتلمس الخيوط ، الظاهرة والمستخفية ، التي تشده الى القضية الفلسطينية .

لست ادري اذا كان من الضرورة في شيء الخوض ، في هذا المجال ، في موضوعة الشعر العربي الحديث اطلاقا ثم اللبناني خصوصا . شخصيا لا ارى من ضرورة الى ذلك ليس فقط لان مجال هذا البحث المحدد لا يسمح به لان القول الذي ارسل في الشعر الحديث تعريفا وعرضا ونقدا وتاريخا وتقييما من الكثرة والتنويع بحيث يغنينا ، هنا، عن الوقوف عنده موقف المعرف فالمحلل فالمفتتم ، حسبنا ان نطلع على نماذج شعرية مما جادت به مرحلة ما قبل النهوض الثوري على ساحة القضية الفلسطينية اعني مرحلة ما قبل اواسط الستينات ومن ثم ننتقل الى مرحلة هذا النهوض الخصبة بعطاءاتها الثورية على صعيد القضية خصوصا من هنا كانت خصبة بعطاءاتها الثورية على صعيد القضية خصوصا . من هنا كانت خصبة الكبرى القضية الفلسطينية .

لسنا الان بسبيل تأريخ حركة الشعر العربي الحديث في لبنان فلهذا الموضوع مجال اخر غير هذا المجال . ما يهمنا من هذه الحركة ان نقف على مدى تأثرها ، اذا كان هناك من تأثر ، بالقضية الفلسطينية .

في ضوء ما تيسر لنا الاطلاع عليه من نتاج هذه الحركة في تلك الفترة المحددة يمكن القول ان القضية بقيت شبه غائبة ، ان لم نقل غائبة كلية ، عن مناخ الشعر الحديث في لبنان . وبكلام اخر ان محاولة تلمس وجه القضية في شعر تلك المرحلة تكاد تكون محاولة خائبة لولا بعض الشارات المضمرة والايماءات المستخفية المتناثرة هنا وهناك في قصيدة لهذا الشاعر او ذاك وفي اطار محدود جدا .

وتأكيدا على صحة ما نذهب اليه حسبنا ان نتمثل بشعراء مجلة « شعر » اولئك الشعراء الذين احتلوا مساحة واسعة من خارطة الشعر الحديث في لبنان في تلك المرحلة الزمنية .

فعلى الرغم من ان مجلة « شعر » لم تكن وحدة او عقيدة او مذهبا : كما يقول ادونيس احد ابرز وجوهها المؤسسين .

وعلى الرغم من ان الشعراء الذين التفوا حولها ثم يشكلوا مدرسة او هيئة بل كان « كل شاعر من المجموعة بحد ذاته نافذة مستقلة على الشعر وعالم شعري قائم بنفسه الى حد التناقض » على حد تعبير انسي الحاج ، وهو الاخر واحد من الوجوه البارزة .

على الرغم من ذلك كله برزت مجلة « شعر » كمعلم واضح السمات في كتاب الشعر الحديث وشكلت تيارا محددا كان له نفوذه وتأثيره على وسط من شعراء لبنان الجدد كما على عدد من شعراء بعض الاقطار العربية .

ليس يهمنا، هنا ، ان نستعيض في الحديث عن شعراء مجلة « شعر » على وجه الاطلاق . ما يهمنا هنا ، على وجه الخصوص، هو ان نستكشف اثر القضية الفلسطينية في نتاجات هؤلاء الشعراء. قبل محاولة الاستكشاف نرانا ملزمين بايراد بعض الافكار المحورية التي ارسلها في اناس الشعراء المؤسسون عبر المجلة . او في ندوتها الاسبوعية ، « خميس شعر » او في غير هذه وتلك من منابر الكلمة المقروءة او المسموعة ، وذلك لنستنير بهذه الافكار خلال محاولتنا تلك ولنتتبع في الانتاج الشعري وقع هذه الافكار .

يقول يوسف الخال صاحب المجلة ومؤسسها الاول :

« نحن نجدد في الشعر لا لاننا قررنا ان نجدد . نحن نجدد لان الحياة بدأت تتجدد فينا او قل تجددنا » .

ولكن صفة الجديد في الشعر فهمها شعراء المجلة على انها « تتناول مضمونه لا شكله ، وان المضمون يجب ان يكون استكشافا للذات لا تعبيرا عن قضايا المجتمع » وان « فؤاد رفقه » قد صاغ هذا الفكر المثالي بجملة تعريفية واضحة الانتماء حين قال : « ان الاثر الشعري ليس انعكاسا بل فتح .. ثم استطرد محددا غاية الشعر بانه « وجد لابهاج النفس واقتناص الرؤيا السعيدة ».

ثم يأتي ادونيس في تلك المرحلة فيؤكد هذه الرؤيا المثالية في التجديد والثورية عند يوسف الخال اذ يتحدث عنه في المقدمة التي عقدها بين يدي « قصائد مختارة » فيقول : « شعراء الجدة والطليعة ثوريون كلهم بشكل او باخر . لكن بعضهم يؤخذون بالكمية الثورية ويؤخذ بعضهم بحضور الواقع الناجع فيسكنونه ويقيمون فيه اعراس الجمال والخلق . ويعبر البعض فوق هذا الواقع ، بروح ثورية ، الى ملجأ وراءه لكن ضمنه ايضا ، يوسف الخال ثوري لكن بنور المسيح .. ثم يضيف بكلام اكثر وضوحا واشد صراحة « حين يلتقي الانسان بنفسه ويلتقي بالمسيح يتم خلاصة . وسيظل في ضياع الى ان يتم هذا اللقاء »..

ولعل السيدة خالده السعيد ، وهي من اسرة مجلة شعر ..، قد وجدت في هذا اللقاء هوية النبي فمنحتها للشاعر الحديث ليقف امام هذا العبث الحال بالعالم العربي « وامام الفوضى ليكون نبي عصره وها هو النبي الجديد منفى مضطهد منشرد محروم يقابل بالنفور وعدم الفهم ».

تلك عينات يسيرة عن بعض الافكار المحورية التي نهضت على اساسها مجلة « شعر » ولعلنا في غنية عن القول انها تنتسب جذورا وفروعا ، الى عالم المثاليين في الفكر والفلسفة .

وكأن لم يكف هذه المجلة طرح هذه الاراء والمفاهيم للكشف عن موقفها الايديولوجي بل حاولت ان تؤكد هذه الحقيقة من حيث هي تنفي عن نفسها المذهبية السياسية او العقائدية ـ لنقرأ في العدد ١٦ منها الصادر في خريف عام ١٩٦٠ : « فليس لمجلة شعر ، كما اعلنا مرارا ، أي اتجاه سياسي او عقائدي وهي كمجلة خاصة في الشعر تقف فوق اصطراع المذاهب السياسية والعقائدية في العالم العربي وفي العالم كله .

لسنا بحاجة الى بذل اي مجهود لدحض هذا القول وتعريته

وكشف خطله ومنافاته للعلم ، اذ لم يعد هناك من يطالب بالدليل على انتقاء منطقه الخواء او انعدام العلاقة بالصراع الاجتماعي في اي مكان او زمان كان .

ورغم هذا الحرص من مجلة « شعر » على الظهور بمظهر المحايد سياسيا وعقائديا فسرعان ما « يتبين للمتتبع ان عداء المجلة لليسار لا يخلو منه عدد » كما جاء في دراسة رشيد الضعيف .

اما موقفها من التيار العروبي فلا يقل عداء او موجدة .

لقد اردنا من هذا الاستعراض المكثف لبعض افكار مجلة«شعر» الاساسية ولخطها السياسي للوصول الى حقيقة موضوعية هي ان شعر مجلة «شعر» رغم حداثته و« ثوريته » على الاسس والمفاهيم التي استقرت عليها حياتنا طويلا .. بقي غريبا عن واقعنا العربي بعيدا عن قضاياه وفي طليعتها القضية الفلسطينية لا لكونه نبوة مضطهدة غير مفهومة كما اشارت السيدة خالدة سعيد بل لكونه جاء تعبيرا عن موقف ايديولوجي معين بالاضافة الى ان المرحلة الفلسطينية لم تكن مرحلة ثورية بحيث تقتحم كل ابنيتنا على الارض العربية كما هو حاصل هذه الايام .

من هنا لا بدع ان جاءت الكتابات الشعرية لمعظم اسرة مجلة«شعر» مجموعة اصوات ضفسية خاوية من الهاجس العام مشحونة بهلوسات الذات وفذلكات التجريب والبحث عن قارات لا وجود لها الا في تهاويل الكلمات واضوائها الزائفة .الشاعر الذي يتشاغل بنظم قصائد لا صوت فيها للعام ، للاخرين ، لضرورة اختيار الموقف ، انما يخون الشعر .

وقد يكون هذا الموقف من شعراء مجلة « شعر » مستغربا بعض الشيء بسبب انتمائهم الذهني لمؤسسة حزبية ترى في فلسطين جزءا لا يتجزأ من جسد (الوطن السوري الكبير) ، اللهم الا اذا كان في البعث التموزي ، الذي يشكل في انتاجهم الشعري قطبا محوريا صيغة شعرية من صيغ معاناة الواقع العربي بوجه عام والفلسطيني بوجه خاص ولكن سرعان ما يظهر علينا « جبرا ابراهيم جبرا » بتفسيره للرمز التموزي عند يوسف الخال وهو يعالج مجموعته « البئر المهجوره » بالنقد فيقول : (والديوان كل قصيدة منه ترتكز على هذه المعادلة الاساسية : الارض والماء هما تموز وتموز هو المسيح والمسيح هو الانسان هذا الانسان الذي ارادوه مطلقا هابطا من السماء الى هذه الارض الخراب :

« ايها البحر ، يا ذراعا مددناها الى الله ،
ردنا لك دعنا
نسترد الحياة من نور عينيك ودعنا
نرخي مع الريح شراعاتنا ، نروح ونغدو
حاملين السماء للارض دمعا
ودماء جديدة

(البئر المهجورة)

انه الفكر المثالي ابدا يملي على الشاعر صوره ورموزه ويحمله على انتظار الخلاص المتنزل من فوق صوتا مدويا يشيع الربيع في اوصال الحياة العاقر ويعيد الى ، الامة ، مجدها الغابر ... وعن نفس الينبوع صدر « ادونيس » في مرحلة انتمائه الحزبي وان تميز صوته بالبكارة وروح المغامرة في عالم اللغة كما تميز بحرارة الالتزام بما كان يراه قضيته ،قضية امته،انما بقي ، رغم ذلك ، معلقا باهداب الغيب يترقب حدوث المعجزة على يديه فيتحقق الوعد وتقف عربة الانتظار :

« من انا ؟ اي هوى احيا له
افقي وعد وعيناي انتظار ... »

بيد ان ادونيس قد لجأ الى طريقة جديدة في التعبير الشعري هي ابداع شخصية جديدة تتقمص خواطره ومشاكله ونوازعه وتجسد حياته ،هذه الشخصية هي شخصية مهيار الدمشقي التي انطوت على جميع القضايا والمواضيع كمشكلةالموت والغربة ثم الانبعاث والصيرورة تحقيقا لتجربة هي الصوفية حيث الوحدة مع الكون واستقطابه والاستمرار فيه حيث الحساسية اللامتناهية التي تمتد لتحرق قشرة العالم وتلمس قلبه على حد تعبير السيدة خالدة سعيد ، زوج الشاعر. انما علينا ان نفهم ان هذه الوحدة مع الكون ليست غير ارتواء الى الذات كما تصرح بذلك السيدة خالدة نفسها ، من هنا ترجع المسألة في هذا كله عند الشاعر ادونيس الى « نظرة ميتافيزيقية تجعل من عالم الذات عالما قائما بنفسه يبدو معها الارتداد الى الذات » انكفاء وانفصاما عن العالم الموضوعي الاكثر حقيقة والاكثر رسوخا وهو العالم الخارجي الذي تستمد منه الذات وجودها الكياني ... » (حسين مروه في « دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي »)

ليس من باب العرض المجاني ان نحاول ان نستكشف الموقع الفكري للشاعر انما من اجل ان نربط النتائج بالاسباب ليستقيم ، بالتالي ، حكمنا على نتاجه الشعري من حيث تأثره بقضايانا القومية في تلك المرحلة من مراحل حركة التحرر العربي ولاسيما على ساحتها الفلسطينية . وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان الهاجس الفلسطيني وان لم يحتل منطقة مستقلة خاصة به في شعر ادونيس في تلك المرحلة ، انما ، في الوقت ذاته ، لم يكن هملا او ساقطا من حساب الوجدان عند الشاعر بل ، على النقيض ، كان صدى في عالمه الشعري قد التحم واندغم في تلك الشبكة المعقدة من اصوات واقعه الاجتماعي واصدائه التي لا حصر لها ، من هنا انشحن عالمه بكل عناصر البطولة والمأساة والفرح والكآبة ، الالفة والغربة ، الهزيمة والانتصار « على النحو الذي رسمته بالرمز والانفجار » « تحولات المصقر » من « كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل » ..

يبقى ان نفرد لرائد آخر من رواد الشعر الحديث في لبنان المكان الذي يستحق من مساحة هذه المرحلة قبل ان نصل الى خاتمتها . وهذا الشاعر الرائد هو خليل حاوي الذي أعرض عن تيار مجلة « شعر » بسبب اختلاف في وجهة نظره عن وجهة نظر اقطابها في ما يتعلق بوظيفة الشعر وبالموقف الذي يقفونه من حضارة العرب وتراثهم كما جاء في دراسة لاحمد ابو سعد .

وعلى الرغم من ان خليل حاوي قد عالج قضية « الصراع الانساني » برؤيا مثالية تجريدية تكرر رؤيا الفلاسفة المثاليين ، الا انه كان اشد التصاقا بمجتمعه العربي واوثق صلة بقضاياه الوجودية وكان ، بالتالي ، ارهف شعورا بواقعه المأساوي واحد نبرة في التعبير عن رفضه لهذا الواقع .

ولكن عبثا نحاول ان نعثر على وجه فلسطين العاري في شعره ، وليس هو المطلوب بالضرورة ، انما الامر الذي لا شك فيه هو ان هذا الوجه بصفة كونه جانبا مذابا في الوجه العربي الكامل قد شكل هما وجدانيا لدى الشاعر فعانى منه اشد المعاناة وحاول ان يتفجر في أكثر من قصيدة واحدة او قل في اكثر من مجموعة شعرية واحدة . وقد تجيء قصيدته « العازر عام ١٩٦٢ » مثالا نموذجيا عن تلك المشاركة الوجدانية الحميمة النازفة في مشاكل الواقع العربي المأزوم في فترة زمنية محددة .

وعازار خليل حاوي ، كما قدمه حسين مروه « ليس سوى رمز الجيل العربي الذي يعاني ارهاصات الانبعاث او هو يعاني الانبعاث فعلا ولكنه انبعاث خير منه الموت »

(عمق الحفرة يا حفار
عمقها لقاع بلا قرار
ترتمي خلف مدار الشمس

ليلا من رماد
وبقايا نجمة مدفونة خلف المدار ....)

تلك هي صرخة لعازار المشحونة بالريح واللهب وقد تفجر بها اذ اصطدم ((بحياة رأى فيها مأساة تفوق مأساة الموت)) فخرجت كما يقول انطوان غطاس كرم ، ((الانا من جحيمها الفردي الى جلجلة الامة، الى انحلال الحضارة في نهاية دورتها))

وقد يكون في الواقع العربي ، عهد ذاك ، ما يحمل الشاعر على هذا الصراخ النازف غيظا ويأسا ولكن على شاعر كبير مثل خليل حاوي ان يكتشف الامر الجوهري ، في تناقضات الواقع ، بطريقته الشعرية التي تعتمد الرمز والايحاء .. وهو ، بالتالي ، ((مطالب بأن يكتشف قوانين التناقض))

وهذا ما لم يفعله خليل حاوي في تجربته الشعرية المرصودة ، بجانب كبير منها لقضايا واقعه العربي . وهو في مرحلة التمزق والانتظار ...

٨ ـ في مرحلة النهوض :

لقد سبقت الاشارة الى ان حركة الشعر الحديث في لبنان لم تكن لتختلف ، في خطوطها العريضة ، عن مجمل حركة الشعر الحديث في بقية الاقطار العربية من حيث تأثرها بالقضية الفلسطينية لا سيما في مرحلة سطوعها منذ أواسط الستينات الى يوم الناس هذا .

كما سبقت الاشارة ايضا الى أن الشاعر العربي ، بوصف كونه جزءا حيا في نسيج القوى التي تسهم في حركة التحرر العربية ، قد دخل أرض المعركة بسلاح التحريض الثوري وانارة الوعي وتعبئة الجماهير باليقظة والشجاعة ، وقد ضربنا مثلا على ذلك بشاعر المقاومة الفلسطينية سواء المقيم في الاسر الاسرائيلي او المنفي عن وطنه . وهنا لا بد لنا من وقفة تستدعيها ضرورة البحث ، وذلك لتسجيل واقعة وهي ان حركة الشعر الفلسطيني المقاوم لم تمارس فعلها الثوري على صعيد التأثير في الوجدان الثوري للمناضلين والجماهير ، كما يقول محمد دكروب ، بل ((مارسته أيضا على صعيد الشعر العربي الحديث نفسه ، وهذه الحركة تمارس فعلها الثوري بوصف كونها جزءا من الحركة العامة للثورة مندمجة بها متفاعلة معها لا موازية لها أو منعزلة عنها)) والى هذه الحقيقة الموضوعية اشار محمود درويش حين قال : ان هذا الشعر الثوري الفلسطيني لا يعبر عن ثورية اصحابه معزولين عن حركة جماهيرية يعبرون عن صراعها . اذن في الوقت نفسه الذي كانت حركة الثورة الفلسطينية تمارس فعلها أو تأثيرها الثوري على مجمل حركة الشعر العربي الحديث ، ومنها حركة الشعر الحديث في لبنان ، كانت حركة الشعر الفلسطيني المقاوم تمارس تأثيرها ليس على الوجدان الوطني لدى الجماهير العربية فحسب بل وعلى حركة الشعر العربي ايضا ومنها حركة الشعر في لبنان . وليس هذا القول يعني ان حركة الشعر الفلسطيني المقاوم لم تتأثر ، هي بدورها ، وعلى هذا النحو او ذاك ، بحركة الشعر الحديث في العالم العربي وخصوصا في العراق ولبنان ، بل تأثرت كبير التأثر لاسيما في مرحلة نهوضها وهذا واقع موضوعي لا سبيل الى نكرانه أو التقليل من قيمته .

وهنا لا بد لنا من التذكير بالخصوصية التي تميز بها لبنان ، لاسيما الجنوب منه من حيث تأثره بالقضية الفلسطينية في مختلف مراحل تطورها ، خاصة في المرحلة الراهنة .

يقول ارنست فيشر : ((ان دور الشاعر لا ينفصل عن الواجبات الصعبة ولا ينفصل عن مواجهة كل ما يعترض الانسان)) ولو بحثنا بين شعراء العربية عمن يلعب هذا الدور بوعي ثوري وتحد شجاع لما وجدنا افضل من شاعر المقاومة الفلسطينية انما هذا الواقع لا يجعل هذا الدور حكرا على شعراء المقاومة فقط ، لا ، فهناك فصائل من الشعراء العرب الذين ((اتحد شعرهم بالارض وانصهر بالهواء واحتضن الانسان المهان)) كما اراد باباو نيرودا لشعره أن يكون . ولسنا مطالبين ، الان ، بتعداد هؤلاء الشعراء او تسميتهم، نحن مطالبون فقط بالحديث عن النتاج الشعري الحديث في لبنان ، ثم ليس النتاج جميعا انما عن ذلك الجانب منه الراشح بانفاس القضية الفلسطينية كونها مسالة ثورية تضع واجبات صعبة امام الشعراء العرب كافة ، ومنهم اللبنانيون ، كما تشكل مواجهة تعترض الانسان على هذه البقعة من الارض .

ومما لا شك فيه ان هذه المواجهة قد تضاعفت حدة واشتعلت تحديا بعد هزيمة حزيران وبسببها الامر الذي ضاعف من الواجبات امام الشعراء العرب وجعل هذه الواجبات اكثر صعوبة .

وهنا لا ترانا بحاجة الى ان نقف عند اسماء اولئك الشعراء الذين اخذهم الهول من الهزيمة فتصدعوا وتساقطوا وكأنهم البناء الهش الذي ضربته الزلزلة على حين فجاة ، وما كان صراخهم المسكون بالرعب سوى الشهادة على تهرؤ عالمهم البرجوازي بكل ما ينضوي عليه هذا العالم من افكار واوهام ومؤسسات ، تماما على نقيض ما زعموا لانفسهم بانهم ينعون بصراخهم ذلك تاريخ هذه الامة فحاضرها والمستقبل . فالهزيمة الحزبرانية ، لو كانوا في غير موقعهم الطبقي لادركوا ان جماهير هذه الامة ليست مسؤولة عنها من قريب أو بعيد ثم لادركوا ، ان المستقبل العربي لا خشية عليه البتة لانه من صنع هذه الجماهير بعد ان تمتلك وعيها وتستعيد قوتها المنتهبة ، وهذا امر واقع لا محالة .

لعله من لزوم ما يلزم العودة الى ((ادونيس)) ونحن نلج الى داخل الشعر الحديث في لبنان في مرحلة نهوض حركة التحرر الوطني لا سيما على الساحة الفلسطينية . لكن من اللازم ايضا الاشارة الى ان ادونيس هنا تجاوز واع وبعيد المدى لادونيس هناك من حيث الانتماء الفكري والقومي ، ففي حين تساقط شعراء مجلة شعر تباعا وبدون ضجة تذكر كما تساقطت المجلة نفسها على ايقاع مماثل تفرد ادونيس عن بقية المجموعة كلها بالموقف ومتابعة الانتاج ولكن مشكلا محورا بذاته، ثم تابع رحلة الخلق على اغزر ما تكون الخصوبة من هنا لم نعد نفاجأ اذا ما سمعنا ادونيس يقول بالصوت العريض : ((نتهم بالخيانة من يقول ان الثورة الفلسطينية فلسطينية وحسب هي ، اذن ، عربية ، هذا معيار مطلق)) ومن هنا كان ادونيس شديد الايمان بمستقبل المقاومة الفلسطينية ، رغم ما يحيط بها من مخاطر وما يعمل في احشائها من عناصر السلب وعوامل الاشغال عن الغاية ، فهو القائل وائل ١٩٧١: ((لولا المقاومة ، هذا اللهب الذي يعصف ويخلخل ، لكان السؤال الاكثر الحاحا والاكثر مباشرة هو هذا : هل نحن شعب ينقرض ؟)) اما حين ينتقل الى لغة الشعر يرسم بها هذا الموقف الوجداني فلا يرتضي للشعر ان يكون وسيلة للسياسة او حتى للحب ، ذلك الشعر ، عنده، هو نفسه السياسة والحب .(بيان عن الشعر والزمن ،مجلة مواقف،عدد ١٣ ـ ١٤) .

وفي حين كانت تجربته هي الوحدة مع الكون التي لم تكن ، كما سبقت الاشارة ((سوى الارتداد الى الذات صارت الوحدة المطلوبة هي الوحدة الجدلية بين الانسان والشيء)) من هذا المنظور الجديد رأى الى العمل الفدائي الفلسطيني فوجد فيه ((امكان التفاعل والجدل بين النظرية والممارسة بين القول والعمل)) ثم راح يصور اعتزازه بهذا العمل قائلا : كل ما اطمح اليه هو ان اكون قادرا ، في شعري على ان اواكب في عالم الكلمة ذلك العمل ... ان الشعر الثوري هو مواكبة للعمل الثوري ، وليس وصفه ولا امتداحه ولا تفسيره)) ولعل ((مقدمة لتاريخ ماوك الطوائف)) هي واحدة من تلك القصائد التي تندرج ، على كثير من الكفاءة والاقتدار ، في ديوان الشعر الثوري العربي . ومن فاتحة هذه القصيدة الملحمية يتخطفك وجه فلسطين الطفل مع ان

القصيدة ليست غير هدية يقدمها الشاعر لعبد الناصر « وفاء لدين شخصي بينهما » وذلك قبل وفاة القائد العربي

« وجه يافا طفل
هل الشجر النابل يزهو ؟
هل تدخل الارض في صورة عذراء ؟
من هناك برج الشرق ؟
جاء العصف الجميل ولم يأت الخراب الجميل
صوت شريد .. »

ويمضي الشاعر في تقاسيم الوجه ـ الذبيحة والتاريخ ـ الدماء حتى يحار في امر بلاده اهي مجزرة ام ثورة ؟..

لكنه لا يحار في حقيقة وحدتها ، في انها مسمى واحد لعدة اسماء ، ومن هنا يتشكل حديد القيد :

« علموني ان لي بيتا كبيتي في اريحا
ان لي في القاهرة
اخوة ، ان حدود الناصره
قلة ،
كيف استحال العلم قيدا ... »

ثم يرى الى ابناء فلسطين ، يهجرون ويجرون الى التيه فيتساءل : متى اتى القتلة ؟ كيف لم نشعر ؟..

« متى اتوا ؟ كيف لم نشعر ؟جبال الخليليدفعها الليل؛يمضيوالارض تهزأ ، لم نشعر ، دم نازف ، هنا سقط الثائر ، حيفا تئن في حجر اسود ، والنخلة التيفيأت مريم تبكي .. » انما يصرخ الشاعر مع الملايين كلا ... تلك حبيبتي وانا قيس لي اسم آخر سمني به لاضع خاتمة لرحلة التشرد :

« سمني قيسا وسم الارض ليلى
باسم يافا
باسم شعب شردته البشرية
سمني قنبلة او بندقية »

ونقف هنا حرصا على هذا العمل الملحمي من ان نسيء اليه بالبتر والتجزئة ، وان اسأنا فعذرنا اننا اقمنا الدليل بذلك على مواكبة الشاعر لفلسطين ـ الجرح والتصدي كانت بمستوى طموحه .

وفي مرحلة السطوع هذه تجلت الرؤيا عند خليل حاوي فكانت هالة من هول الرعد ومهابة الجبل في طلعة كل مخلص ... وكانت في حضور هذا البطل صفوة الاصالة العربية تتخطى ما تتصف به ذاته من عفة وكرامة وفداء ... كما جاء في مقدمة قصيدته « الرعد الجريح » التي انجزها الشاعر قبل حرب تشرين وعبأها بتوقعات تنشق عن سيف عربي مقدام يخرج من صلب الليل الحزيراني حاملا البشارة والوعد الحق .

وبعد تشرين ، بعد فترة الحمل والمخاض ، يخرج الشاعر الى الناس بـ « رسالة الغفران من صالح الى ثمود » فتكون « ٦ تشرين شعري » على حد تعبير واحد من النقاد وهي قصيدة ملحمية تحتل فلسطين منها الشرايين والخلايا .

وفي هذه المرحلة أيضا ، وتعبيرا عن تفجراتها الخصبة على ساحة الكفاح الفلسطيني يرتفع صوت الشاعر ميشال سليمان في ايقاعات هادرة ملونة لكنها مرصودة جميعا لقضية الانسان الفلسطيني خصوصا والانسان العربي على وجه العموم ومما لا شك فيه ان أغنى عمل شعري بهذا التواصل الحميم بالقضية وذاك النفاذ الجريء الى قرارها هو مطولته الشعرية « النار والاقدام الجائعة » الصادرة عام ١٩٧٠. ففي هذه المطولة انطلق الشاعر من الغموض الكاشف في أغوار الواقع العربي الى التمثل الواعي لطلائع الثورة العربية ،فصائلصدامها الاولى من المقاتلين الفلسطينيين . والشاعر اذ يحدد ركب الثوار لا يغيب عن رؤيته عالم الردع والقمع وشراسة المواجهة ولكن ..

« فليكن ...
سيروا بأقدام عتبيات ، صلاب
وبعين سخرت في الردع من ظفر وناب ... »

وفي هذا النهر اللبناني الهادر يجيء صوت الشاعر فؤاد الخشن وبشكل موجة أشد ما تكون عنفا واكثر ما تكون مرارة حين تتصدى لقضية من قضايانا القومية وعلى وجه الخصوص القضية الفلسطينية. وانا لنسمعه ، وهو يتحدث عن يوم الفداء ، وكأنه يريدنا الا نسمع حتى لا تأخذنا شهوة الكلام يريدنا ان نعمل لفلسطين ونعطيها ما تستحق من سخي العطاء :

« وفلسطين التي اعطيتها ،
يوم اطلاق الهتافات فمك
أعطها اليوم دمك .. »

تلك نماذج تشير بالرمز الى عطاءات حركة الشعر الحديث في لبنان المتصلة بسبب أو اكثر وعلى هذا المستوى الفني أو ذاك بالقضية الفلسطينية . انما يهمنا ان نؤكد ان الجانب المنتمي الى جنوبي لبنان من هذه الحركة لم يدخل في السياق العام ذلك لانه ، بسبب الخصوصية التي يتسم بها الجنوب اللبناني فلسطينيا ، يتسم هو الاخر بخصوصية تكشف علاقاته الوجدانية ، الاكثر حميمة والاشد حرارة ، بالواقع الفلسطيني وذلك للاسباب التي سبق ذكرها وليس من داع ، بعد ، لاستعراضها . من هنا نرى ان الضرورة ان نفرد لشعراء الجنوب الجدد حيزا خاصا بهم من مساحة هذا البحث ولكن في حدود المجال .

فمن القواسم المشتركة بين الشعراء الجدد في الجنوب عامة انهم شباب جميعا اذا لم نقل انهم جميعا في أوائل شبابهم الريان ، اذن فالمستقبل الشعري الباهر لم يزل امامهم رغم انهم اعطوا الشهادة بحق عن اقتدارهم في الخوض ، عن مواهبهم المكنوزة ، عن استيعابهم لتجارب الرواد وعن جرأتهم في الاقتحام . بالاضافة الى ذلك فهم جميعا يشتركون في عملية الالتحام بالارض الجنوبية ، أي ارض فلسطين والارض العربية اطلاقا ، ثم هم مسكونون ، بهذا الحجم أو ذاك ، بانسان هذه الارض، بجرحه النازف من الداخل والصامتمن الخارج، وبقضية واقعه المتفجر في وجهين يتجسد فيهما القهر والاغتصاب ، وجه الوحش الاسرائيلي ووجه القمع « الداخلي » فاذا هو بين هذا وذاك في مراوحة ضارية على شفرة السكين .

هناك شبكة من العلاقات المادية والروحية تجمعهم بشعراء الارض المحتلة . فهم مثلهم منفيون وان كانوا في وطنهم وهم مثلهم ملاحقون بوجه الحبيبة ـ الارض وان كانت لم تغتصب بكامل جسدها ولكنها في وضع هو الاغتصاب المذل .

من هنا كان هذا التأثر ، ولا عجب ، بشعراء المقاومة وخاصة محمود درويش ، ولكن على تفاوت كبير بين هذا الشاعر أو ذاك ، انما

دار الطليعة تقدم

في اصول لبنان الطائفي

وضاح شرارة

كتاب جريء وصدامي يحاول ان يجيب على سؤال محدد : لماذا كانت الطائفية في لبنان وجها تاريخيا ملازما للخط الجماهيري ، وليست مظهرا عارضا يمكن طرحه ؟

هناك غائلة من الهموم المشتركة التي تسكن الوجدان وتجد لها متنفسا في هذه القصيدة أو تلك .

وحسبنا ان نشير ، هنا ، الى بعض السمات المشتركة بين العديد من شعراء الجنوب وبين زملائهم من شعراء المقاومة :

أ ـ عشق الارض ـ الام الحبيبة

ب ـ الخروج المتمرد من تقليدية النواح والبكاء الى ممارسة التحدي والاثارة فالتعبئة .

ج ـ التأثر بالاحداث الفلسطينية والعربية ثم العالمية .

د ـ هيمنة ظاهرة اليسارية على الشعر ، تلك الظاهرة التي رآها بجلاء غسان كنفاني واعتبرها « من الظواهر المميزة لشعر المقاومة في الارض المحتلة »

هـ ـ استخدام أدوات واساليب متماثلة من حيث الشكل . والمثل القريب على ذلك هو دخول الموال أو الازجال الشعبية الى بنية القصيدة ، وهذه ظاهرة جديدة كل الجدة اذ لم يسبق لشاعر جنوبي ان مارس هذا الضرب من القول قبل شعراء المقاومة الفلسطينية .

تلك ظواهر قد استرعت انتباهنا في حركة الشعر المقاوم منذ ان هدرت بصوتها المضيء في الارض المحتلة وخارجها على حناجر محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، احمد دحبور ، و ... و ..

وهذه الظواهر بالذات قد استرعت انتباهنا ايضا في نتاج شعراء الجنوب الجدد . وابرزهم : محمد علي شمس الدين ، حسن عبدالله ، حمزة عبود ، محمد عبدالله ، شوقي بزيع ، الياس لحود ، عباس بيضون ، واحمد فرحات ...

صحيح ان هؤلاء الشعراء قد تأثروا بشعر المقاومة ، على هذا النحو أو ذاك ، ليس لان هذا الشعر قد مارس فعله الثوري عليهم فحسب بل ولكونهم يعكسون ، فنيا ، واقعا اجتماعيا مشتركا الى حد بعيد .

نقول صحيح انهم قد تأثروا بحركة الشعر المقاوم الا انهم لم يفقدوا هوياتهم الخاصة بهم ، التي منحتهم وجها متميزا ولكنهم ، في الوقت نفسه ، لم يشكلوا تيارا متميزا ، وما كان لهم ان يشكلوا ليس لانهم ما زالوا « يدورون في المناخات الشعرية التي طرحها الرواد » عموما وادونيس خصوصا ثم شعراء المقاومة . وليس بسبب « الاختلاف فيما بينهم في ممارسة العملية الشعرية » ولكن ، ايضا بسبب ان تجاربهم الشعرية لما تزل في طريقها الى النضج فالامتلاء ، وان الارض الفكرية لعدد منهم لم تستقر بعد أو تتحدد معالمها بوضوح .

ولكن مهما يكن من امر فان المكان الذي نزله شعراء الجنوب من ديوان الشعر العربي في السنوات الثلاث الاخيرة انما يدل على حقيقتين معا :

ـ امتلاك الفعل المؤهل في الحاضر

ـ امتلاك الوعد الصادق للمستقبل

أما عن المآخذ التي يسجلها جمهور الشعر عليهم جميعا أو على العديد منهم فلا نملك في هذا المجال سوى الاشارة الى ماخذين :

الاول : الغموض الذي يعطل فعل الايصال

الثاني : الغوص في جسد الفجيعة الى حيث ينطفيء توقع مجيء الفرج حول المآخذ الاول

قد نصل بالتحليل العلمي لظاهرة التعقيد أو الغموض في الشعر الحديث الى ما وصل اليه حسين مروة اذ رأى ان خلف هذا التعقيد يكمن من جهة الواقع العربي المعقد جدا لاسيما بعد هزيمة حزيران ومن جهة ثانية « فقدان الرؤية القائمة على نظرية ثورية حقيقية » عند الشعراء المحدثين بحيث أن الهزائم مهما بلغ شأنها تظل قادرة على احداث زلازل في مفاهيمهم واحاسيسهم لتنتهي ، بالتالي ، الى تأزيم نفوسهم وتعقيدها اكثر .

في عددنا القادم

محمد عيتاني ـ خالد نقشبندي ـ د. أحمد ماضي ـ خليل هنداوي ـ محمد ابراهيم أبوسنة ـ علي الخليلي ـ احمد عز الدين ـ سلوى فيل ـ زكي الاسطه ـ جواد صيداوي ـ محمد علي شمس الدين ـ ماجد الشيخ ـ مسلم الجابري ـ هلال بن زيتون ـ د . وصفي صادق ـ النور عثمان أبكر ـ سلافة العامري ـ محمد خالدي ـ صباح الربيعي ـ حسن الخياط ـ جودت فخر الدين ـ د. سيد حامد النساج ـ عبد الجبار عباس .

وحول المآخذ الثاني

فربما نكون على حق لو رددنا مع شعراء الجنوب ابيات « يا بلو نيرودا » تبريرا للعيش على ضفة الجرح شعريا لكونهم يعيشون هذه الحالة واقعا دامغا :

« تسألون لماذا في شعره لا يتحدث عن الاحلام
عن الأوراق ، عن البراكين العظيمة في وطنه الاصلي ..
تعالوا لتروا الدم في الشوارع
تعالوا لتروا الدم في الشوارع
تعالوا لتروا الدم في الشوارع »

مصادر هذه الدراسة :

١) مجلة الآداب
٢) مجلة الطريق
٣) مجلة العرفان
٤) ديوان الشاعر القروي
٥) فلسطين واخواتها للشاعر بولس سلامة
٦) الفلسطينيات للشاعر سليمان ظاهر
٧) سفينة الحق للشاعر حسن صادق
٨) ديوان الحوماني
٩) دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ـ حسين مروة
١٠) دراسات ماركسية في الشعر والرواية
١١) مجلة مواقف
١٢) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري
١٣) الآثار الكاملة ـ أدونيس
١٤) قصائد مختارة ـ يوسف الخال
١٥) قضية فلسطين في الرواية العربية ـ رندة حيدر
١٦) النار والاقدام الجائعة ـ شعر ميشال سليمان
١٧) الهوى وحديث العينين ـ شعر فؤاد الخشن
١٨) الآثار الكاملة ـ خليل حاوي
١٩) مجلة شعر
٢٠) دراسة جامعية حول مجلة شعر لرشيد الضعيف
٢١) دراسة لحسن زبيب
٢٢) قصائد مهربه الى حبيبتي اسيا ـ محمد علي شمس الدين
٢٣) فكاهيات بلباس الميدان ـ الياس لحود